الجزء الثالث — سورة آل عمران — الربع ٢ — الآيات ١٠٠

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ
شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ
الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ
وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ
مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ ۘ
وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ۙ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

﴿الٓمٓ﴾ الحروف المقطّعة للإشارة إلى إعجاز القرآن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبودَ بحقٍّ إلا هو ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الدائم الذي لا يموت، القائم على تدبير شؤون الكون ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مصدِّقاً لما سبقه من الكتب السماوية ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ القرآن العظيم الفارق بين الحق والباطل ﴿عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ غالبٌ لا يُغلب، منتقم ممن عصاه ﴿لَا يَخْفَىٰ﴾ لا يغيب ﴿يُصَوِّرُكُمْ﴾ يخلقكم في أرحام أمهاتكم كما يشاء ﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾ واضحات الدلالة ﴿أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ أصلُ الكتاب وأساسه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ آيات أخرى خفيَّات استأثر الله بعلمها ﴿زَيْغٌ﴾ ميلٌ عن الحق ﴿ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلباً لفتنة الناس في معتقدهم ﴿وَتَأْوِيلِهِۦ﴾ تفسير المتشابه ﴿وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الثابتون المتمكنون في العلم ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ كلٌّ من المحكم والمتشابه حقٌّ وصدقٌ لأنه كلام الرحمن ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ الزَّيغ: الميلُ أي لا تُمِلها عن الحق والهدى، وكان ﷺ يقول: «**اللهمَّ يا مقلِّب القلوب، ثبِّتْ قلبي على دينك**» رواه الترمذي.. **نزل صدرُ هذه السورة في وفد** (نصارى نجران) قدموا المدينة المنوّرة، وجادلوا الرسول ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، فقال لهم ﷺ: ألستم تعلمون أن الله حيٌّ لا يموت، وأن عيسى يموت؟ وأن ربَّنا قيِّمٌ على العباد، يحفظهم ويرعاهم ويرزقهم، وأن عيسى كان يأكل ويشرب ويُحْدِثُ الحَدَثَ، وأنَّ ربَّنا منزّه عن ذلك كلِّه؟ فكيف يكون عيسى إلهاً كما زعمتم؟ فنزلت السورة، تفسير ابن كثير.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ
وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ
وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى
ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ
وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ
أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

﴿لن تغني﴾ لن تنفعهم الأموال والأولاد ولن تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله ﴿وقود النار﴾ حطب جهنم الذي تُوقد به ﴿كدأب آل فرعون﴾ شأنُ الكفار وعادتُهم كحال وشأن آل فرعون ﴿والله بذنوبهم﴾ أهلكهم الله بسبب كفرهم ومعاصيهم ﴿تحشرون﴾ تُجمعون وتساقون إلى جهنم ﴿وبئس المهاد﴾ بئس الفراش الذي تفترشونه نار الجحيم ﴿آية﴾ عِظةٌ وعبرة ﴿فئتين التقتا﴾ طائفتين التقتا على القتال ﴿يرونهم مثليهم﴾ يرى المؤمنون الكفارَ أكثر منهم وضعفيهم، رؤية ظاهرةً للعين، لا بالخيال ﴿لأولي الأبصار﴾ لأصحاب العقول السليمة ﴿حب الشهوات﴾ المشتهيات للنفس بالطبع ﴿والقناطير المقنطرة﴾ الأموال المكدّسة من الذهب والفضة ﴿والحرث﴾ أنواع الزروع والنبات ﴿حسن المآب﴾ حسن المرجع والثواب ﴿وأزواج مطهرة﴾ زوجات منزّهة عن كل ما يُستقذر، من (الحيض، والبول، والغائط) لا يعتريهنّ ما يعتري نساء الدنيا من الخَبَث والدَّنَس.

الحزب ٦

سبب النزول: لمَّا انتصر رسول الله ﷺ على المشركين في (غزوة بدر) جمع اليهودَ في المدينة المنورة، فقال لهم: أسلِموا قبلَ أن يصيبكم ما أصاب قريشاً!! إنكم تعلمون أني نبيٌّ مرسل، فقالوا: يا محمد، لا يَغُرَّنَّك من نفسك، أنك قاتلتَ نفراً من قريش، كانوا أغماراً لا علم لهم بالحرب!! إنك لو قاتلتنا لعرفتَ أننا نحن الرجال، وأنك لن تلقى شجعاناً مثلنا!؟ فأنزل الله على رسوله ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ رواه البيهقي.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ
وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ
ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ
ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المطيعين لله الخاضعين لعظمته وجلاله ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ بيَّن تعالى لخلقه بالدلائل والبراهين ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أنه لا معبود في الوجود بحقٍّ إلَّا هو سبحانه ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ مقيماً للعدل في كل أمر ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ العزيزُ في ملكه، الحكيم في صنعه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ الدينُ المرضيُّ عند الله هو الإسلام، لا يقبل الله من العباد سواه، وفي الحديث الشريف: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هؤلاء، يهوديٌّ ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا أدخله الله النار» رواه مسلم ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وطلباً للرياسة ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ استسلمتُ وأخلصتُ نفسي للهِ وحده ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ مشركي العرب ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلت أعمالُهم وذهب ثوابها، وليس لهم من ينصرهم من عذاب الله، واستعمالُ البشارة في العذاب: للسخرية والتهكُّم، كقوله سبحانه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أما تخصيصُ الأسحار بالاستغفار ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ فلأنَّ الدعاء أقربُ إلى الإجابة، لأن النفسَ تكون أصفى، والروح تكون أجمع، والعبادةُ تكون أشقَّ، فكانت أقربَ إلى القبول والإجابة.

قال الحافظ ابن كثير: كان (عبد الله بن عمر) يصلِّي من الليل، ثم يقول: يا نافع، هل جاء السَّحر؟ فإذا قال نعم، أقبلَ على الدعاء والاستغفار حتى يصبح!! ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ضاعتْ وذهبتْ أعمالهم الصالحة بسبب الكفر ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ليس لهم من ينصرهم وينجيهم من عذاب الله.

الجزء الثالث — سورة آل عمران

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ
اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ
فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ
لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ
مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ
مَنْ تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ
تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ يُراد بهم أحبار اليهود ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ يدعون إلى التوراة لتفصل بينهم ﴿يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ يعرضون عن قبول حكم الله، نزلت في اليهود، زنى منهم اثنان، فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ فحكم عليهما بالرجم، فأبوا وقالوا: لا نجد في كتابنا إلا التحميم، وأبَوْا أن يقبلوا بحكم التوراة، فنزلت الآية ﴿غَرَّهُمْ﴾ ذلك الإعراض لزعمهم أن الله لن يعذبهم إلا أياماً قلائل ﴿يَفْتَرُونَ﴾ خدعهم وأطمعهم كذبهم على الله ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ﴾ تسلب المُلْكَ ممن تريد إذلالَهم ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ بيدك وحدك التصرُّفُ في شؤون الكون ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ﴾ تزيد في طول النهار وتنقص من الليل، وبالعكس ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الزرع من الحبّ، والنخلة من النواة ﴿تُقَاةً﴾ أن تخافوا من جهتهم شيئاً. . ولمّا فتح رسول الله ﷺ مكة، وعد المسلمين بملك فارسَ والروم، فقال اليهود: هيهاتَ، من أينَ لمحمد ملكُ فارسَ والروم!؟ فنزلت الآية ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ . . .﴾ الآية.

أشارت الآية الكريمة: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ . .﴾ إلى القدرة الإلهية الباهرة، فإن تغيير نظام الحياة، بإدخال الليل في النهار، والنهار في الليل، حيث يطول الليلُ، وينقص النهار شتاءً، وبالعكس، برهانٌ ساطع على وجود متصرِّف في الكون حكيم، كما أن إخراج النخلة من النواة، والإنسان من النطفة، بحيث تتوالد الحياة من الميت إلى الحيّ، ومن الحيّ إلى الميت، في دورة دائبة دائمة، أعظم برهان على عظمة الخالق المبدع جلّ جلالُه!!

الجزء الثالث — سورة آل عمران

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ
ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

﴿مُّحْضَرًا﴾ حاضراً مشاهداً لها في صحف الأعمال ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ غايةً في نهاية البعد ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ يخوّفكم عقابه وعذابه ﴿رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ رحيم بالخلق ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾ اختار للنبوة ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ أهل عمران الجدّ «عيسى» وأمه مريم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عالمي زمانهم ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ هم صنف واحد في الخير والصلاح ﴿مُّحَرَّرًا﴾ صافياً مخلصاً للعبادة وخدمة بيت المقدس ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ في الخدمة، فالذَّكَرُ يُقصد للخدمة، والأنثى لا تصلح لضعفها وأنوثتها ﴿أُعِيذُهَا﴾ أجيرها بحفظك وأحصنها بجلالك ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ الشيطان المطرود من رحمة الله ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾ ربّاها تربية فاضلة على الدين والاستقامة ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ جعل زكريا كافلاً لها متعهداً لمصالحها ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ من أين لكِ هذه الخيرات والأرزاق؟ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ من غير عدٍّ ولا نهاية، **قال مجاهد**: كان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء، وفي الشتاء فاكهة الصيف، فلذلك استغرب أمرها.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ سببُ هذا النذر، أنَّ «حنَّة» امرأة عمران، كانت عجوزاً وعقيماً، لا يأتيها ولد، فبينما هي ذات يوم تحت ظلِّ شجرة، رأت طيراً يُطعم فَرْخَه، فاشتهتْ الولدَ وتمنَّته، وقالت: اللهمَّ إنَّ لكَ عليَّ نذراً، إنْ رَزَقْتني ولداً، أن أهبه لبيت المقدس، ليكون خادماً له، وتوفي زوجها «عمران» وهي حامل، فلما ولدت بمريم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾؟ على سبيل التحسر والاعتذار، فهذا سرُّ النذر.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ
يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر
رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ
عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي
وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ
إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ
مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ
عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

﴿هَالِكَ﴾ في ذلك الوقت والمكان، دعا زكريا ربه متوسلاً ومتضرعاً إليه ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ ارزقني من فضل رحمتك وجودك، ولداً صالحاً مباركاً ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بشّره جبريل ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ يصلي ويتعبد ربه ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدّقاً برسالة «عيسى» الذي خُلق بكلمة «كُنْ» من غير أب ﴿وَسَيِّدًا﴾ يسود قومه ويفوقهم ﴿وَحَصُورًا﴾ يحبس نفسه عن الشهوات عفةً وزهداً، ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك، وليس كما ظنَّ البعض أنه كان (عِنِّيناً) فهذا نقص وذم، والآيةُ مديحٌ له وثناء ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ عقيم لا تلد ﴿ءَايَةً﴾ علامةً على حمل امرأتي ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ علامتُك ألا تستطيع الكلام إلا بالإشارة، ثلاثة أيام بلياليها ﴿أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ الأخبار الغيبيّة الهامة ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاهٍ وقدرٍ وشرف ﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ من أهل المكانة والقرب عند الله تعالى، وعيسى عليه السلام آخرُ أنبياء بني إسرائيل، وقد أظهر الله بمولده عجائب قدرته، وباهر حكمته.

قال الحافظ ابن كثير: اعلمْ أن ثناء الله على (يحيى) أنه كان حصوراً، ليس كما قاله بعضُهم أنه كان عِنِّيناً ـ أي لا يستطيع إتيان النساء ـ لأن هذه نقيصةٌ وعيب، وإنما معناه أنه معصومٌ من الذنوب، أو يمنع نفسه من الشهوات كأنه يحصر نفسه، لأن عدم القدرة على النكاح نقصٌ، والآية وردت مورد الثناء، والفضلُ في كون الشهوة موجودة فيه، ثم يمنعها بالمجاهدة عفّةً وزُهْداً. اهـ ابن كثير.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ
أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ
هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ اللَّهِ ۖ آمَنَّا بِاللَّهِ ۖ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

﴿فِي الْمَهْدِ﴾ يكلّمهم وهو طفل صغير قبل أوان الكلام وهذه معجزة ﴿وَكَهْلًا﴾ ويكلّمهم وهو كبير السنّ، وفي الآية إشارة إلى نزول عيسى في آخر الزمان، لأنه رُفع إلى السماء وهو شاب ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ لم يقربني أحد فكيف يأتيني ولد؟ ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ يعلّمه الكتابة دون معلّم ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الفقه والسداد في الرأي ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ويرسله رسولاً إلى بني إسرائيل ﴿بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالمعجزات التي أيّدني الله بها ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ﴾ أصوّر لكم من الطين مثل صورة الطير ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ الأعمى ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ وأخبركم بكثير من المغيّبات من المطاعم والمشارب في بيوتكم ﴿أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وتحقّق كفر اليهود وإرادتهم قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ من ينصرني لتبليغ دعوة الله؟ ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ المؤمنون الأصفياء، وهم كالصحابة لرسول الله ﷺ، وما من نبيٍّ إلّا وله أتباعٌ وأنصار، وأكثرهم أصحاباً خاتم المرسلين!!

وتكلُّم سيدنا عيسى عليه السلام وهو طفلٌ رضيع، إحدى معجزاته عليه السلام، وقد كانت أول كلمة نطق بها ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ومن العجيب في أمر النصارى أنهم مع حرصهم الشديد، على ذكر خوارق عيسى ومعجزاته، لم يذكروا هذه المعجزة، وحذفوها من الأناجيل، لأنها تنقض أساس معتقدهم في (ألوهية المسيح) وتُثبتُ عبوديّته لله تعالى، وهذا من جملة الافتراء على الله.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ
ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ
فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا
لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ
مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ
أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

﴿وَمَكَرُوا﴾ مكر اليهود الخبثاء بعيسى وأرادوا قتله ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ نجّاه الله من شرّهم ورفعه إلى السماء، دون أن يُمسّ بأذى، سمّاه مكراً من باب التشابه باللفظ مع الاختلاف في المعنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضُك إليّ بروحك وجسدك، فهي وفاة قبض لا وفاة موت ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ إلى السماء ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ وجاعل أتباعك المؤمنين ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فوق اليهود الكفار إلى يوم القيامة ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ شأن عيسى وأمرُه العجيب، حيث خُلق من (أم) بدون أب كشأن آدم ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ خلق الله آدم من تربة الأرض من غير أب ولا أم، وقال له: كنْ فكان، فالقادرُ على خلق آدم، قادرٌ على خلق عيسى ﴿الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين في عظمة الله وقدرته ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرّع إلى الله، وندعوه أن يلعن الكاذب منا، ولمّا دعاهم ﷺ للمباهلة امتنعوا، وقبلوا دفع الجزية، وفي امتناعهم عن الملاعنة أعظم شاهدٍ على صدق نبوته ﷺ.

عقيدتنا في المسيح: اعتقادنا نحن المسلمين بأن عيسى (حيٌّ في السماء) لم يمت ولم يُصلب، وأنه سينزل في آخر الزمان، ليحكم بشريعة محمد ﷺ وقد رَفَعَه الله إلى السماء بروحه وجسده، وأمّا زعمُ بعضِهم أنه تُوفي ثلاث ساعات ثم رُفع، لقوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ فزعمٌ باطلٌ، كما وضّحه المحقّقون، **قال القرطبي:** والصحيح أن الله رَفَعه إلى السماء، من غير وفاةٍ ولا نوم، والآية إنما تشير إلى استكمال عيسى لأجله، ثم وفاته بعد انتهاء الأجل، اهـ. **أقول:** ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ من التوفية لا من الوفاة، أي معطيك ومانِحُكَ كاملَ أجلك، كقوله سبحانه: ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الجزء الثالث — سورة آل عمران

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي
إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ
حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ
بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

﴿الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ الأخبار الصادقة التي لا شك فيها ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ كلمة وسط عادلة يكون فيها إنصاف بعضنا لبعض هي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أن نعبد اللّٰه وحده ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ لماذا تخاصمون وتجادلون في شأن إبراهيم؟ فتقولون: إنه يهودي أو نصراني؟ ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾ ما حدثت هذه الأديان إلا من بعده بقرون طويلة؟ وهذا ردٌّ على مزاعم اليهود والنصارى الباطلة، حيث زعموا أن إبراهيم كان منهم وعلى دينهم، فكيف يكون على دينهم، ولم يكن في زمانهم؟ ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ جادلتم في شأن عيسى وقد عشتم زمانه ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ فلماذا تجادلون في أمر إبراهيم، ولم تدركوا زمانه؟ أفليست هذه حماقة وسفاهة؟ ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ مائلاً عن الأديان إلى الدين القيِّم دين الإسلام ﴿وَلِيُّ النَّاسِ﴾ أحقُّ الناس بالانتساب إلى إبراهيم ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أتباعه المؤمنون ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء ﷺ والمؤمنون من أتباعه.

روي عن ابن عباس أن أحبار اليهود، ونصارى نجران، اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازعوا في شأن إبراهيم، فقالت اليهود: ما كان إبراهيم إلا يهودياً. وقالت النصارى: ما كان إلَّا نصرانياً، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ فأكذبهم جميعاً، وفي قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾ سخرية بعقولهم وإزراء، إذ كيف يكون على دين اليهودية أو النصرانية، وهو عليه السلام قبلها بأزمان؟ أفليستْ هذه سفاهة وحماقة؟

الجزء الثالث — سورة آل عمران

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ
عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ
يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا
مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا
خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

﴿ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ لماذا تخلطون بين الحق والباطل بالتحريف والتزوير؟ ﴿ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ ﴾ تخفون ما في التوراة والإنجيل من أوصاف محمد ﷺ وأنتم تعلمون حقيقة رسالته ﴿ طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ جماعة من اليهود ﴿ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ أول النهار ﴿ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ ﴾ اكفروا بالإسلام في آخر النهار ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ ليشكُّوا في دينهم ويرجعوا عنه، وهذه مكيدة خبيثة من اليهود حيث تآمروا أن يُظهروا الإسلام في أول النهار، ثم يرجعوا عن الإسلام في آخر النهار، ليشكّكوا ضعفاء الإيمان في دين الإسلام ﴿ تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾ لا تصدّقوا أحداً إلا إذا كان يهودياً على دينكم، ومرادهم لا تؤمنوا برسالة محمد لأنه ليس على دينكم ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ ﴾ يخصُّ بالنبوة من شاء من عباده ﴿ مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا ﴾ ملازماً له تطالبه وتلاحقه ﴿ ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ ﴾ ليس علينا حرج ولا إثم في أكل أموال العرب ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴾ يكذبون على الله في هذه المزاعم الباطلة ﴿ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ ﴾ لا نصيب لهم من رحمة الله ورضوانه ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ ﴾ لا يطهرهم من دنس المعاصي والفجور.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾ هذا من تتمة كلام اليهود، بعضهم لبعض، حكاه الله عنهم لتذكيرنا بعصبيتهم الدينيّة، يقولون: لا تصدّقوا أحداً إلا إذا كان على دينكم، وليست كما يظن البعض توجيهاً ربّانياً للمؤمنين، ألّا يثقوا ويطمئنوا لأحدٍ إلا إذا كان مسلماً!!

الجزء الثالث — سورة آل عمران

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ
وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
وَٱلنَّبِيِّۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ
قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يفتلون ألسنتهم ويُميلونها عن اللفظ الصحيح إلى التحريف والتزوير ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لتظنُّوا أن هذا المحرَّف من كلام الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وليس من كلام الله إنما هو بهتان وزور ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ يكذبون على الله متعمّدين التحريف والتبديل، ارتكبوا جريمتَيْن: جريمةَ التحريف لكلام الله، وجريمةَ الكذب على الله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ لا يصحُّ ولا يُتصوَّر لأحدٍ من البشر، أوحى الله إليه بكتاب منزل، وجعله نبياً مرسلاً ﴿كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى﴾ أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله، وهذا ردٌّ على النصارى الذين زعموا أن عيسى دعاهم إلى عبادته ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ﴾ ولكنْ يدعوهم إلى أن يكونوا علماء حلماء، منسوبين إلى الربِّ جلّ وعلا ﴿تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۧنَ أَرْبَابًا﴾ ولا يمكن للنبيّ المرسل، أن يدعو أحداً إلى عبادة الملائكة والأنبياء ﴿إِصْرِى﴾ عهدي ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ طائعين ومكرهين.

قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد، لئن أدرك محمداً وهو حيٌّ أن يؤمن به وينصره، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته.

شرفٌ عظيمٌ لرسول الله ﷺ، لم ينلْه أحدٌ من الأنبياء قبله، أن يأخذ الله العهد على جميع الأنبياء والمرسلين، أنهم إن أدركوا حياة خاتم الأنبياء، أن يؤمنوا به وينضوُوا تحت رايته ولوائه، وأن يكونوا من أنصاره وأتباعه، وقد أشهدهم الله على هذا (العهد والميثاق) وشهد بنفسه عليه ﴿قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ويا له من شرف عظيم لسيد المرسلين ﷺ!!

الجزء الثالث — سورة آل عمران

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ
دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾
كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟
أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ
ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ يعقوب والد يوسف الصّديق ويسمى «إسرائيل» والأسباطُ: هم بطونُ بني إسرائيل المتشعّبة من أولاد يعقوب ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لا نؤمن ببعض الرسل ونكفر بالبعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ من يطلب ديناً غير دين الإسلام ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ لن يتقبل الله غير دين الإسلام ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ مصيره إلى النار المؤبّدة خالداً مخلّداً فيها أبداً، وفي الحديث: **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هؤلاء يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا أدخله الله النار**» رواه مسلم ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ جاءتهم المعجزات والبراهين الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ ﴿يُنظَرُونَ﴾ لا يُمهلون ولا يؤخّرون لحظة واحدة ﴿كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ماتوا على الكفر ولم يتوبوا ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦ﴾ لن يُقبل من أحدهم فدية، ولو افتدى بمثل ملء الأرض من الذهب، وفي الحديث: **يقال للرجل من أهل النار: لو كان لك ما على الأرض أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول الله له: قد سألتك ما هو أهونُ من ذلك، سألتك أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا الشرك**» رواه مسلم. النصُّ القرآني القاطع، أن بعد مجيء الإسلام، خاتم الأديان السماوية، لا يقبل الله ديناً سواه، كما أخبر سبحانه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فمن زعم أن اليهوديّ إذا تمسّك بيهوديّته، وبالتوراة، والنصراني إذا بقي معتنقاً لنصرانيته، وطبّق أحكام الإنجيل، يدخل الجنة مع المسلمين، كذبٌ وضلال، يردُّه النصُّ الصريح القاطع.

الجزء الرابع سورة آل عمران

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ
ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ
إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟
فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ ﴾ لن تصلوا إلى درجة الأبرار، ولن تنالوا وجوه الخير والإحسان ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ حتى تُنفقوا من أفضل أموالكم وأحبِّ الأشياء إليكم ﴿ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ كلُّ الأطعمة كانت حلالاً لأولاد يعقوب ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ ﴾ إلا ما حرَّمه يعقوب على نفسه وهو (لحم الإبل وألبانُها) حين مرض به عِرْقِ النَّسا، فنَذَر ألَّا ياكلها، ثم حُرِّمت على بني إسرائيل أنواعٌ من الأطعمة عقوبةً لهم على جرائمهم ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ ﴾ ائتوني بالتوراة واقرءوها عليَّ ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنها لم تُحرَّم عليكم بسبب معاصيكم ﴿ أَوَّلَ بَيْتٍ ﴾ أول مسجد ومعبد في الأرض ﴿ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ بُنيَ لعبادة الله ﴿ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ المسجد الحرام الذي هو بمكة ﴿ مُبَارَكًا ﴾ ذا بركةٍ وفضل وعظمة ﴿ وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ مصدر هداية ونور لأهل الأرض ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الحجر الذي وقف عليه حين بنى الكعبة المشرفة ﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ تطلبون أن يكون دينُ الله معوجًا غير مستقيم، وأنتم تعلمون أن الإسلام هو الدينُ الحقُّ.. عبَّر سبحانه عن ترك الحج بالكفر ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ تغليظاً وتشديداً، للتنبيه على أن من ترك هذه الفريضة، وهو قادر على أدائها، يوشك أن يقع في الكفر، كما أنه ذكر من مزايا هذا البيت ثلاثة وجوه: **الأول**: أنه أول المساجد على الإطلاق. **الثاني**: ما خصَّه به من وجوه الفضل، مقام إبراهيم، وزمزم والحطيم، والصفا والمروة، والحجر الأسود وغيرها. **الثالث**: إكرامُ من دخله بالأمن والاستقرار ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿ومن يعتصم بالله﴾ يستمسك بشريعته ودينه ﴿فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ وُفّق لكل خير واهتدى لطريق الجنة ﴿حق تقاته﴾ تقوى حقّة صادقة بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، قال ابن مسعود: بأن يُطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا ينسى ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ استمسكوا بالإسلام حتى يدرككم الموتُ فتموتون عليه ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ بدينه وكتابه، شبَّه القرآن بحبلٍ من تعلَّق به نجا، ومن تركه هَلَك ﴿على شفا حفرة من النار﴾ على طرفِ حفرةٍ عميقة يوشك أن يقع بها ﴿اسودّت وجوههم﴾ سواد الوجوه علامة أهل النار ﴿ابيضّت وجوههم﴾ هم المؤمنون الأبرار تشرق وجوههم بالنور التام يوم القيامة ﴿ففي رحمة الله﴾ في الجنة التي هي مكان تنزل رحمة الله، وهو كما يقول المفسرون، من باب (إطلاق الصفة وإرادة الموصوف) فالجنة دار الكرامة، ومكان تنزّل الرحمة الإلٰهية.

سبب نزول هذه الآيات: ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم ءايات الله﴾ ما ألقاه بعض الخبثاء (اليهود) من فتنة بين الأنصار، فقد مرَّ عليهم (شاس بن قيس) اليهودي، فرآهم في مجلس يتحدثون، فغاظه ذلك، فأرسل إلى شاب من اليهود خبيث، فقال: اذهب إليهم فذكّرهم بيوم بُعاث، وما كان بينهم من الهجاء، فألقى بينهم الفتنة، حتى تداعَوْا إلى السلاح، ووصل الخبر إلى رسول الله ﷺ فأسرع نحوهم وهو يقول: يا معشر الأنصار أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ فألقوا السلاح وبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، وأنزل الله هذه الآيات، رواه ابن جرير، وانظر كامل القصة في تفسير الشوكاني.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ
وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ
فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أنتم يا أمة محمد خير الأمم، وأنفعهم للناس، تخرجونهم من ظلمات الكفر، إلى نور الهداية والإيمان، روى البخاري عن أبي هريرة قال: "**خيرَ النَّاسِ للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام**" ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن طاعة الله ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ إلَّا ضرراً يسيراً بالسنتهم من سبٍّ وطعن ﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ ينهزمون أمامكم ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ لزمهم الذلُّ والهوانُ ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ أينما وجدوا في أي مكان وزمان ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ عهدٍ من الله ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ عهد من المسلمين أو غيرهم ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ لزمتهم الفاقة والخنوع ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ ليس أهل الكتاب مستوين في المساوئ ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ طائفة مستقيمة على الحق ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ ساعات الليل وأوقاته ﴿لَن يُكْفَرُوهُ﴾ لن يحرموا ثوابه، بيَّن تعالى أن أهل الكتاب، فيهم المؤمنُ والكافر، والبَرُّ والفاجر، والآية نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، من أحبار اليهود، وعلماء النصارى.

تبصير وتذكير: هذه الأمة المحمدية (أمة رسالة) وأمة إنقاذ، حمَّلها الله رسالةَ إنقاذ البشرية، من ظلمات الجهل والكفر، وهي أفضل الأمم بالنصِّ القاطع ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أي أُخرجت لخير الناس، وإنقاذهم من براثن الضلالة، وقد قال ﷺ: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرمُها على الله**» رواه أحمد.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ۖ
وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ۖ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۖ وَمَا تُخْفِى
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟
بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ كمثل ريح شديدة عاصفة فيها بردٌ شديد ﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾ أصابت زرع قوم ﴿ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ دمّرته وأتلفته، شبّه تعالى ما أنفقوه في سبيل المفاخر والثناء، بالزرع الذي أصابته الريح العاصفة الباردة المدمرة فأفسدته وأتلفته ﴿بِطَانَةً﴾ أصدقاء تودُّونهم وتطلعونهم على أسراركم ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لا يقصّرون في إيذائكم ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ تمنّوا لكم ما يوقعكم في المشقة ﴿بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾ ظهرت أمارات العداوة لكم على ألسنتهم ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ وما يبطنونه لكم من البغضاء أكثر ﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾ الأنامل: أطراف الأصابع، والآية فيها تمثيل لشدة الغيظ والحنق على المسلمين ﴿غَدَوْتَ﴾ ذهبتَ أول النهار ﴿تُبَوِّئُ﴾ تُنزل وتوطّن ﴿مَقَٰعِدَ﴾ أماكن لقتال أعدائهم في غزوة أُحد، وقد انتصر المسلمون ثم انهزموا لمخالفتهم وعصيانهم أمر الرسول ﷺ، ثم أعاد الله لهم النصر على الأعداء، وهو درسٌ بليغ للمسلمين، أن لا يخالفوا شيئاً من أوامر الله، وأوامر رسوله، فإن المعاصي تُهْلِكُ الإنسانَ، وتجلب له الشقاء والبلاء، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا مُّبِينًا﴾.

أخرج البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب أنه قال: (كان يومُ أُحدٍ يومَ بلاءٍ وتمحيص، اختبر به المؤمنين، ومَحَق به المنافقين، وأكرمَ فيه من أراد كرامته بالشهادة، ونزل في يوم أُحد ستون آية من آل عمران).

الجزء الرابع — سورة آل عمران

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾ كادت طائفتان من جيش المسلمين ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ أن تَجْبُنا وتَضْعُفا عن القتال، وهم «بنو سلمة» و«بنو حارثة» قال جابر: فينا نزلت هذه الآية، وما يسُرُّني أنها لم تنزل لقول الله ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ رواه البخاري ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ نصركم ببدرٍ مع قلّة الرجال والسلاح ﴿أَن يُمِدَّكُمْ﴾ يقوّيكم ويعينكم ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا﴾ بلى يمدُّكم بشرط الصبر، وتقوى الرحمن ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ من ساعتهم ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلّمين ومدرّبين على السلاح ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ ليهلك طائفةً منهم بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يخزيهم ويذلّهم بالهزيمة ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ليس لك من أمر العباد شيءٌ، بل الأمرُ كلّه لله، لمّا كُسرت رباعيةُ النبي ﷺ، وشُجَّ وجهُهُ الشريف في غزوة أحد، قال ﷺ: «كيف يُفلحُ قومٌ فعلوا هذا بنبيِّهم، وهو يدعوهم إلى ربهم»؟ فنزلت الآية، رواه مسلم. ﴿فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ يرجعوا أذلاءَ مخذولين ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا﴾ لا تأخذوا الربا بطريق الظلم الصارخ، كانوا إذا كان أحدُهم له على إنسانٍ مائة، وحان الأجلُ، ولم يكن عنده وفاءُ للدين، قال الدائنُ للمستدين: زدني في المال، وأزيدك في المدة!! فربما جعل المائة مائتين، ثم إذا حلّ الأجل الثاني زاد، حتى تصبح المائة أضعافاً مضاعفة، وهذا ما يسمى في زماننا بـ (الفائدة المركبة) والآيةُ ليست للقيد، بحيث تصبح جائزةً إذا لم تكن مضاعفة، وإنما هي للتقبيح والتشنيع عليهم، حيث وصل بهم الجشع والطمع، إلى هذه الدرجة المتناهية في الظلم، وأكل أموال الناس بالباطل.

وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟
لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ
مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ
فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ
﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ
وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿سَارِعُوٓا﴾ بادروا إلى ما يوجب لكم المغفرة من ربكم، بطاعته والجهاد في سبيله ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ وجنة فسيحة واسعة، عرضها كعرض السموات والأرض ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هُيئت لكلّ من اتقى الله ﴿السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في اليسر والعسر ﴿الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ يحبسون غيظهم، مع قدرتهم على الانتقام ﴿فَاحِشَةً﴾ معصية كبيرة متناهية في القبح، كالزنى ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بفعل أيّ ذنب ﴿اسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ طلبوا من الله أن يعفو عن زلّتهم ﴿خَلَتْ﴾ مضت وانقضت ﴿سُنَنٌ﴾ وقائع وأحداث الأمم المكذّبة ﴿عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ انظروا ماذا حدث لهم من أنواع الهلاك والدمار؟ لتعتبروا ﴿قَرْحٌ﴾ إن أصابكم قتلٌ، أو جراحٌ ﴿مِثْلُهُ﴾ أصاب المشركين مثلُ ما أصابكم من الشدائد ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ نصرّفها بين العباد، يومٌ لكم ويوم عليكم، والأيام لا تدوم على حال.

تنبيه: أمر تعالى بالمسارعة والمبادرة في أمور الطاعة والعبادة ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي إلى ما يوجب لكم المغفرة من ربكم، كما قال سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فأمور الآخرة ينبغي فيها السابق والتنافس، أمّا أمور الدنيا فتكون بالهُوَيْنى، من غير استعجال ولا تسابق، قال سبحانه: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن
قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ
ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ
مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ۚ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟
وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ
إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ﴾ يُنقِّيهم ويطهِّرهم من الذنوب والآثام ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ يهلك ويستأصل الكفار ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ هل تظنون أن تدخلوا الجنة دون ابتلاءٍ واختبار؟ ﴿جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ ولم يتبيَّن ولم يتميَّز المجاهد منكم، من المتقاعس عن الجهاد ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ عند الشدائد ﴿تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ تشتهون لقاء الأعداء لتظفروا بالشهادة ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ حين شارفتم على الموت، وقُتل من قُتل من إخوانكم؟ والآية عتابٌ في حقّ من انهزم ﴿خَلَتْ﴾ سبق قبله رسلٌ كثيرون ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ رجعتم كفاراً بعد إيمانكم؟ ﴿كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ محدَّداً بوقت معلوم ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ كثيرٌ من الأنبياء قاتلوا لإعلاء كلمة الله ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ وقاتل معهم علماء ربانيون، وعُبَّادٌ صالحون ﴿وَهَنُوا۟﴾ ما ضَعُفوا ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ وما ذلّوا لأعدائهم، والآية تشجيع للمؤمنين على الصبر والثبات، وقد قال ﷺ: «**لا تتمنَّوْا لقاءَ العدوِّ، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**» رواه البخاري ومسلم.. نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ لمَّا قال المشركون في (غزوة أُحد): إن محمداً قد قُتل، ودبَّ الضعفُ إلى قلوب بعض المسلمين، فقال المنافقون: إن كان محمد قد قُتِل، فتعالوا نرجع إلى ديننا الأول!! وقال (أنسُ بن النضر): يا قوم إن كان محمد قد قُتِل، فإن ربَّ محمد حيٌّ لا يموت، وماذا تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ؟ فنزلت الآية عتاباً لبعض المسلمين من ضعفاء الإيمان.!

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

﴿لَكُمْ مَوْلَىٰكُمْ﴾ الكفارُ ليسوا أنصاراً لكم، بل الله ناصركم ومتولي شؤونكم، فأطيعوا أمره ﴿هُوَ خَيْرُ النَّصِرِينَ﴾ فلا تستنصروا بغيره ﴿كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ سنقذف في قلوبهم الخوف والفزع ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ بسبب كفرهم وإشراكهم بالله ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ مسكنهم ومستقرهم نار جهنم ﴿مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ وبئست جهنم مسكناً لهم ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ تحصدونهم بسيوفكم، وتقتلونهم قتلاً ذريعاً، بإرادته تعالى وأمره ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جَبُنْتُم وضعفتم عن عدوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحن صبركم وثباتكم ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تُبْعدون في الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ ولا يلتفت بعضكم لبعض، لإمعانكم في الهزيمة ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من ورائكم يقول: إليَّ عبادَ الله، إليَّ عباد الله!! ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ جازاكم غماً بالهزيمة، بسبب غمكم للرسول ﷺ بالمخالفة لأمره، جزاءَ وفاقاً، فما أصابكم من همّ وغمّ، كان جزاءً على صنيعكم.

قال ابن مسعود: كان النساء يوم أُحد خلف المسلمين، يُجْهِزْنَ على جرحى المشركين، فلو حلفتُ يومئذٍ أن أحداً منَّا لا يريد الدنيا، لكنت بارًّا بيميني، حتى أنزل الله ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ ولم يبقَ مع النبي ﷺ إلَّا تسعة نفر، وأشاع المشركون أن محمداً قد قُتل، واستُشهد حمزة في تلك الغَزوة، وحزن عليه النبي حزناً شديداً.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ
يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا
قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ أرسل عليكم النُّعاسَ بعد ذلك الغمِّ الشديد للأمان والسكينة ﴿ يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ﴾ يصيب فريقاً منكم ﴿ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ وجماعة أخرى. وهم المنافقون. شغلهم همُّ نجاة أنفسهم فلم يناموا ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ الظنَّ السيِّئ أن الرسول قد قُتل، وأن الإسلام لن تقوم له قائمة ﴿ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ ليس لنا من الأمر شيء، ولو كان لنا اختيارٌ ما خرجنا لقتال، ولكنْ أُكرهنا للخروج ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ﴾ لو لم تخرجوا من بيوتكم، لخرج الذين قدَّر اللَّهُ عليهم الموت إلى مصارعهم، فالحَذَرُ لا يُغني عن القَدَر ﴿ أَسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ أوقعهم الشيطانُ في الخطيئة والزلَّة بوسوسته ﴿ أَوْ كَانُوا غُزًّى ﴾ غُزاةً مجاهدين في سبيل الله ﴿ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ألماً وكَمداً على الذين ماتوا في المعركة، والموتُ لا يمنع منه قعود، سواءٌ قعد الإنسان في بيته، أو خرج مجاهداً في سبيل الله.!

درسٌ وتذكرة: كانت غزوة أُحد درساً بليغاً للمسلمين، فقد كان النصر حليفهم بادئ الأمر، ثم جاءتهم الهزيمة بسبب عصيانهم لأمر الرسول ﷺ.. رُوي أن النبي ﷺ في (غزوة أُحد) وضع خمسين من الرماة فوق الجبل، وقال لهم: لا تبرحوا أماكنكم ولو رأيتمونا تخطَّفتنا الطير!! فلمّا التقى الجيشان، لم تقوَ خيل المشركين على الثبات أمام سهام المسلمين فانهزموا، فلما رأى الرماةُ ذلك، تركوا الجبلَ وقالوا: الغنيمةَ الغنيمةَ، فجاءهم المشركون من خلف الجبل، وانقلب النصر إلى هزيمة.

وَلَئِن قُتِلْتُمْ أَوْ مُتُّمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن
بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن
يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ
اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ وسواءٌ استشهدتم في الحرب والجهاد، أو متُّم على فراشكم ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ مرجعكم إلى الله فيجازيكم على أعمالكم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ «ما» صلة للتأكيد أي فبسبب رحمةٍ عظيمة أودعها الله في قلبك، كنتَ هيّناً ليّناً مع أصحابك ﴿فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ ولو كنت جافي الطبع قاسي القلب، تعاملهم بالجفاء والغلظة ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرّق أصحابك عنك ونفروا منك ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ لا يمكن لأحد أن يغلبكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ وإن أراد تعالى إذلالكم وترْك نصركم فمن الذي يستطيع نصرتكم؟ ﴿يَغُلَّ﴾ يخون في الغنيمة ﴿بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ رجع بغضب شديد من رب العزة والجلال ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ مسكنه ومصيره نار الجحيم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ أنعم عليهم بأعظم نعمة وهي بعثةُ السراج المنير محمد ﷺ ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ أي من أين جاءتنا هذه الهزيمة؟ قل لهم: سببُ الهزيمة هو أنتم، بسبب مخالفتكم لأمر الرسول ﷺ.

مديحٌ وثناء: هذه الآية الكريمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ ثناءٌ من الله عظيم، على نبيّه الكريم، وإشادةٌ بالقيادة الحكيمة، فمع مخالفة بعض أصحابه لأوامره، وسعهم بخُلقه الكريم، وقلبه الرحيم، ولم يجابههم بالغلظة والشدة، وإنما خاطبهم باللطف واللين، ولذلك اجتمعت القلوبُ حول دعوته، وتوحّدَتْ تحت قيادته، ولو حصل مثل هذه المخالفة مع بعض قوّاد عصرنا، لأمر بشنقهم أو حرقهم لأنهم سببوا الهزيمة للجيش، فما أكرمه من ثناء على سيّد الأنبياء، من رب العزة والجلال.!

وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۖ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا ٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

﴿ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ يوم التقى جمع المسلمين وجمع المشركين في أحد ﴿ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ بإرادته وتقديره ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾ ليعلم أهل النفاق وكانوا نحو رجل، رجعوا إلى المدينة، ولم يقاتلوا مع المسلمين، وقالوا: ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا ٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ﴾ لقاتلنا معكم ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ يُظهرون خلاف ما يُبطنون ﴿ فَٱدْرَءُوا۟ ﴾ ادفعوا الموت عن أنفسكم إن كان عدم الخروج يُنجي من الموت ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ ﴾ لا تظنّنّ أنهم أموات ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ بل هم أحياء يتنعّمون في الجنان، نزلت في شهداء أحد حين قالوا: من يُبلّغ عنا إخواننا أننا أحياء؟ فقال الله تعالى: أنا أبلّغهم عنكم، ﴿ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾ كثرة الجراح في أعقاب غزوة أحد، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الخروج للأعداء في (حمراء الأسد) على ما بهم من الجراح والإثخان، فاستجابوا لأمر الله ورسوله، ومن رحمة الله أنه لم تقع معركة بينهم وبين المشركين، لأن الله ألقى في قلوب الأعداء الخوف والفزع، فلم يرجعوا للقتال.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ ﴾ الآية نزلت في شهداء أحد، فقد قال ﷺ: «**لمّا أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترِدُ أنهارَ الجنة، وتأكل من ثمارها، فلما وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، ومَقيلهم، قالوا: من يبلّغُ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة؟ لئلا يزهدوا في الجنة، ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل قوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾**» رواه أبو داود، وأحمد.

فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر والثواب ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ لم ينلهم مكروه ولا أذى ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نالوا رضى الله عزّ وجلّ ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ يخوّفكم أولياءه الكفار ليُضعف قواكم ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ لا ترهبوهم فإني متكفّلٌ لكم بالنصر عليهم، وخافوني أن تعصوا أمري فتهلكوا ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يتسابقون نحو الكفر مسرعين، كأنهم في ميدان سباق ﴿حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يريد تعالى أن يحرمهم من نعيم الجنة بنفاقهم وكفرهم ﴿نُمْلِى لَهُمْ﴾ نمهلهم ونؤخر آجالهم ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ ليكتسبوا الجرائم فيزداد عذابهم ﴿لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لن يترك المؤمنين على حالهم، دون ابتلاءٍ وتمحيص ﴿يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ يفصل بين المؤمن والمنافق ﴿يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ﴾ يُطلع بعض رُسُله على أخبار المنافقين، بواسطة الوحي ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ يُجعل لهم طوق في عنقهم وفي الحديث: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّل له مالُه شُجاعاً اقرع - أي حيَّة ضخمة - يطوَّقه يوم القيامة، ويقول: أنا مالك، أنا كنزُك، وتلا ﷺ الآية الكريمة ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾» رواه البخاري. . هذا طرفٌ من عقوبة مانع الزكاة، نسأل الله الحفظ والسلامة ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني إنهم سيموتون، والله هو الوارث لما في أيديهم، فما لهم يبخلون عليه بملكه، ولا ينفقون في سبيله!؟ ﴿تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ والله هو المطّلع على أعمال عباده وسيجازيهم عليها.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ هم اليهود اللعناء سمعوا قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا﴾ فقالوا: لو كان غنياً ما استقرض ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوه في صحائف أعمالهم ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ ونكتب جريمتهم الشنيعة بسفكهم دماء الأنبياء ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ذوقوا عذاب النار الشديدة الإحراق ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ أوصانا في التوراة ﴿يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ أن لا نصدّق رسولاً حتى يأتينا بقربان وتنزل نار من السماء فتأكله!! وهذا منهم افتراء على الله ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الباهرات ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ فلمَ قتلتموهم إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان؟ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ جاءوا بالمعجزات والصحف المملوءة بالمواعظ ﴿زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أبعدَ عن نار جهنم ونجا من عذابها ﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ الاستمتاع الباطل الخادع الذي لا يدوم ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ لتمتحنّ وتختبرُنّ بأنواع المحن والشدائد، في أموالكم بالفقر والمصائب، وفي أنفسكم بالأمراض والأسقام.. نزلت هذه الآية ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ في أحد أحبار اليهود (فِنْحاص بن عازوراء) دخل عليه «أبو بكر» ودعاه إلى الإسلام، فقال فِنْحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا لفقير، يطلب منا أن نقرضه، ولو كان غنياً ما استقرض!! فغضب أبو بكر وضرب وجهه ضربة شديدة، وقال: والله يا عدوّ الله، لولا العهد لضربتُ عنقك، ففيه نزلت ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ..﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم. تفسير ابن كثير.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

﴿ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ أخذ العهد المؤكّد على اليهود في التوراة ﴿لتبيننّه للناس﴾ لتظهرنّ ما في التوراة من الأحكام الإلهية وأوصاف خاتم الأنبياء ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ طرحوا ذلك العهد ولم يبالوا به ﴿واشتروا به ثمنا قليلا﴾ استبدلوا به شيئاً حقيراً من حطام الدنيا ﴿يفرحون بما أتوا﴾ من إخفاء الحق ﴿ويحبون أن يحمدوا﴾ ويحبون أن يحمدهم الناس وهم على باطل وضلال، نزلت في اليهود سألهم رسول الله ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره ظناً منهم أن الرسول رضي منهم وأعجب بكلامهم، ففيهم نزلت كما في البخاري ﴿بمفازة﴾ بمنجاة وخلاص من العذاب ﴿الألباب﴾ دلائل وعلامات لأصحاب العقول ﴿بطلا﴾ عبثاً بدون حكمة ﴿فقنا﴾ احمنا ونجنا من نار جهنم ﴿أخزيته﴾ أهنته غاية الإهانة وفضحته ﴿ما وعدتنا على رسلك﴾ ما وعدتنا به على ألسنة رسلك، ومرادهم أن يدخلهم الله الجنة دار المتقين.

تضرّع ودعاء: كرّروا النداء بصيغة الدعاء (ربّنا) خمس مرات، للتضرع وإظهار غاية الخشوع والتذلّل، رغبةً في استجابة الدعاء، وهذا توجيه من الله لعباده المؤمنين، أن يكثروا من الدعاء والتضرع، فإنه مفتاح الفرج والقبول ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ولهذا جاءت الإجابة العاجلة المبشّرة لهم بعدها، بقوله سبحانه ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾

الجزء الرابع — سورة آل عمران

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟
وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَآءِ — مدنية — الآيات ١٧٦ — الربع ١

﴿فاستجاب﴾ أجاب دعاءهم ﴿بعضكم من بعض﴾ لا فرق بين الرجال والنساء في الأجر ﴿فالذين هاجروا﴾ هجروا أوطانهم نصرة لدين الله ﴿لأكفرن عنهم﴾ أمحو عنهم ذنوبهم وأسترها بالغفران ﴿حسن الثواب﴾ حُسْنُ الجزاء وهي الجنة دار الهناء ﴿لا يغرنك﴾ لا يخدعنّك تنقُّل الكفار في البلاد ﴿متاع قليل﴾ يتمتعون بالدنيا ثم يزول ذلك النعيم ﴿مأواهم جهنم﴾ مسكنهم نار الجحيم ﴿وبئس المهاد﴾ بئس الفراش والقرار جهنم ﴿نزلا﴾ ضيافة وكرامة لهم من الله ﴿خاشعين لله﴾ خاضعين متذلّلين لله ﴿اصبروا﴾ على مشاقّ الطاعات ﴿ورابطوا﴾ لازموا ثغوركم خشية هجوم الأعداء. جاء بلال يُؤذن النبي ﷺ بصلاة الفجر، فقال: يا رسول الله، ما يُبكيك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ هذه الليلة هذه الآيات؟ ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ ثم قال: «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها».

روى الحافظ ابن كثير عن عطاء (أنه استأذن مع ابن عمر على عائشة فقالا: أخبرنا بأعجب ما رأيته من رسول الله ﷺ؟ فبكت ثم قالت: كان كلّ أمره عجباً!! دخل عليّ في ليلتي التي يبيتُ فيها عندي، ثم قال لي: ألا تأذنين لي أن أتعبّد ربي هذه الليلة؟ فقلت: والله إني لأحبُّ قُربَك، وأحبُّ هَوَاكَ!! فتوضأ ثم قام يصلّي، فبكى حتى بلّ لحيته، ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض، وظلّ يصلّي ويبكي حتى جاء بلال يخبره بطلوع الفجر، وذكرت الحديث المتقدم: «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها».